القومية المصرية في شعر أحمد شوقي «دراسة أدبية نقدية»

د. محمد عبد القادر الأمين حمد النيل •

ملخـــــص

القومية هي ذلك الاتجاه الذي يستهدف تعميق الإحساس لدى أبناء أمة من حيث الانتماء والوعي وقد وجدت في شعر شوقي واضحة كالشمس في راد ضحاها. هدفت الدراسة إلى إبراز أبعاد القومية المصرية في شعر شوقي، دراسة الملمات التي حلت بشوقي والشعب المصري مما دفعه لتسخير شعره عما تجيش به عواطفه تجاه وطنه وأبنائه. اتبعت الدراسة المهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: برع شوقي في تصوير الواقع في مصر ومعاناة الشعب وسخر شعره الرصين لبعث القومية المصرية في وجدان أهله. عاصر شوقي أحداث وطنية كثيرة تأثر بها وأثرت عليه مما انعكس جلياً في ثنايا شعره القومي. في شعره تصد للاستعمار الذي تكالب على الدول العربية عموماً وعلى مصر على وجه الخصوص وكان لشوقي سهم ربيح في كنانة الذود عن حياض الوطن. صور بشعره أحداث معاناة الشعب المصري وفي هذا تأكيد واضحٌ لدور الشاعر القومي الذي يحمل بين جنبيه فؤاد رجل عظيم يهتم بجلائل الأعمال . بعد شوقي عن وطنه في منفاه زاد من تعلقه واشتياقه لمسقط رأسه ودار خلانه فربة الشعر جاءته طائعة مختارة في تيه ألمدل وإدلال الفاتنات ليعبر بلغة رصينة ومشاعر جياشة عن حبه لوطنه ومن بعد ذلك يكون قد رسخ قيمة عليا للشعر لا يشآها إلا كل خبير طب حاذق للغة. إن شعر شوقي القومي فيه صدق العاطفة وجمال التصوير وحسن السبك. توصي الدراسة بالبحث الدقيق عن دور الشعر في بعث الشعور القومي تجاه الأوطان للتأكد الحقيقة الراسخة للعلاقة المتينة الموثقة بين أي شاعر والمجتمع الذي يعيش فيه.

• أستاذ الأدب والنقد المشارك، جامعة البطانة، كلية التربية رفاعة ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

Abstract

Nationalism is the dimension that aiming at deepening the sensibility to the people in terms of affiliation and awareness which is found in Shawqi's Poetry as clear as the sun at sunup. The study aimed at raising the dimension of Egyptian Nationalism in Ahmed Shawqi's Poetry and studying the calamities suffered by Shawqi and Egyptian people and that encouraged him to exploit his poems for his emotions at his country and its people. Descriptive analytical method has been followed and a number of results have achieved, some of them are as follows: Shawqi has excelled in depicting Egyptian reality and Egyptians' suffering so that he exploits his sober poetry to raise nationalism in their sentimentality, he lived with many patriotic events which influenced on him and then reflected it in his national poetry, there is resistance in his poetry against colonization who aggressed towards Arab countries, specially, Egypt and Shawqi has played a profitable role in defending his homeland, he portrayed the events of Egyptian suffering which is an indicator of great man who concerns with great works, his exile made him more hankered for home country which made him more sentimental and his poetry more sober, in such a way, he could have established high value to the poetry, and his national poetry shows sincere emotions, aesthetic portrayal and good formulation. The study recommends accurate investigation into the role of poetry in evocating national feelings towards the countries for making sure of established reality that there is reliable relationship between poets and the societies in which they live.

مقدمـــــــة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وبعد.

فإن الشعر يعبر عمّا تختلج به النفوس تعبيراً صادقاً ويصور حياة المجتمع تصويراً دقيقاً، ومن مهمات الشعر الجسام أن يعبر الشاعر عن واقع مجتمعه ويصعد به نحو آفاقٍ أرحب في مجال القيم والأخلاق والارتباط الوثيق بالأوطان واذكاء نار القوميات وهذا ما ذهب إليه أحمد شوقي في ثنايا شعره الذي عبر فيه عن انتمائه القومي إلى وطنه.

أهداف البحث:

١ـ إظهار معنى القومية والشعر القومي.

٢ـ توضيح مواطن القومية المختلفة في شعر أحمد شوقي.

٣ـ معرفة الأسباب التي أدت إلى إشعال نار القومية في شعر شوقي.

٤ـ دراسة وتحليل بعض النصوص الشعرية لشوقي المصورة لأبعاد قوميته المصرية.

منهج البحث:

سلك البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبعه لأبعاد القومية المصرية في شعر شوقي

مفهوم القومية والأدب القومي:

القومية لغةً:

وردت كلمة القومية في المعاجم العربية حاملة معان كثيرة منها: "القومية من لفظ "القوم" وتعني الإقامة بالمكان، وجمعها أقاوم وأقائم وأقاويم وأقوام، وتعني الجماعة من الناس. وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته[١].

القومية اصطلاحاً:

في الاصطلاح، القومية: "هي ذلك المذهب الذي يبحث في الصفات الأساسية التي تميّز الأمم بعضها عن بعض"[٢]. تعرّف أيضاً: "هي الشخصية الجماعية لأية أمة، أو هي الواقع التاريخي واللغوي والثقافي الذي يحوي نتاج ومعطيات جميع التجارب الإنسانية التي خاضتها الجماعة البشرية منذ نشأتها إلى أن تبلورت شخصيتها تبلوراً واضحاً مميزاً قام على تفاعل عدة روابط مشتركة خاصة بهذه الأمة"[٣].

يعرّفها الإيطالي مانشيني بأنها: "مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه ببعض بوحدة الأرض والأصل، والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي"[٤].

يعرفها جورج حنا بأنها: "عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة، وجغرافية مشتركة، وتاريخ مشترك، ومصير مشترك، ومصلحة اقتصادية

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص٥٥٦–٥٥٧. لسان العرب لابن منظور، ت: عبدالله علي الكبير– محمد أحمد حسب الله– هاشم محمد الشاذلي، مادة القوم، دار المعارف، القاهرة، مصر "بدون سنة الطبعة"، ج٥ص٣٧٨٦–٣٧٨٧.

(٢) الفكر السياسي للحصري: د. أحمد الرجي، ط١، م. الأهالي، دمشق، سوريا، ١٩٩٧، ص٨.

(٣) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧: د. ماجد أحمد السامرائي، ص١٣.

(٤) ماهي القومية: ساطع الحصري، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٣، ص٤٠.

مادية مشتركة، وثقافة نفسية مشتركة، وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة"[١].

الهوية القومية:

هي: "معرفة المواطن بأولويات انتمائه، أو بمعنى مبسط "من هو" من حيث الانتماء الجمعي، وما يترتب عل ذلك من أولويات الانتماء والإحساس بالتكامل مع الشركاء والتمايز عن الغير"[٢].

الاتجاه القومي:

هو ذلك الاتجاه الذي يستهدف تعميق الإحساس لدى أبناء أمة من حيث الانتماء والوعي بمفهوم القومية ومقوماتها، وتحريك هؤلاء بالعاطفة والوعي معاً لترجمته في سلوك وممارسات أبناء أمة بحيث يصبح الهدف القومي هدفاً أساسياً[٣].

الأدب القومي:

هو التمسك بالموضوعات التي تهم كل أبناء الأمة الواحدة، والتحمس لها من حيث الاتجاه نحو الدفاع عن القضايا الوطنية، وإبراز ما يحث القراء على التمسك بقيمهم في مواجهة خطر حقيقي أو متصور[٤].

يمكن القول بأن القومية بكل بساطة هي شعور بانتماء الفرد إلى قوم معينين تربطهم أواصر معينة تكون موحدة تقريباً، والأمة هي مجموعة أقوام، أي نفس الجماعة تكون بشكل أكبر.

(١) معنى القومية العربية: د. جورج حنا، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٥٧، ص٣٠.

(٢) السلام وأزمة الهوية في مصر: فاروق يوسف أحمد، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢، ص٥.

(٣) الاتجاه القومي في الرواية: د. مصطفى عبد الغني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب"١٨٨"، الكويت، ١٩٩٤، ص١٥.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان ببيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص٣٠٠.

رأت الدراسة إن الأدب القومي أدب قوم بعينهم كُتِب بلغة رسمية متداولة بين مجموعة من البشر تربطهم صلات عدة. أي أدب يعالج مسائل محصورة ضمن نطاق قومي. إن الشعور القومي ظاهرة طبيعية ملازمة للإنسان، ولكنها تظهر أو تختفي حسب طبيعة العصر، فعندما يحس قوم بالاضطهاد والحرمان، تتجلّى ظاهرة القومية وتظهر أنيابها في الواقع. مهما سكن الإنسان القصور؛ فإن ذلك لن ينسيه وطنه الذي عاش فيه آباؤه وأجداده، فإن صورة الوطن المحمول في القلب ينسج حوله الشاعر شعره[1].

نشأة فكرة القومية في مصر:

كانت السنوات التي قضاها نابليون في مصر "١٧٩٨م١٨٠٥-م"، سنوات جهاد وصراع بين الشعب المصري والمستعمرين، وكانت لهذه المقاومة أثر كبير في الشعور القومي عند المصريين. وهذا الشعور القومي جعل من إبراهيم باشا أن يدعو إلى فصل الأقطار العربية عن الدولة العثمانية وتأسيس مملكة عربية، وأخذ هذا الشعور يجد صداه في الأدب وعند الأدباء[2].

كان الاحتلال الأوربي للأراضي العربية بمثابة صدمة فكرية واجتماعية هزّت حالة الضعف في مجتمع مصرفي تلك الفترة، فالفرنسيون لم يبقوا كثيراً في مصر، ولكنهم تركوا نشاطاً ثقافياً ملحوظاً، وهذا النشاط ظهر خلال فترة محمد علي باشا"١٨٠٥م-١٨٤٩م" التي تلت تلك الفترة، فأسست مطبعة بولاق ١٨٨٢م،وإصدار الوقائع المصرية ١٨٢٨م الجريدة الرسمية، وكذلك إرسال إحدى عشرة بعثة علمية إلى أوربا بين عامي ١٨٢٦ ١٨٤٧-م، وتأسيس

(١) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧: . ماجد أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة- توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات"٣٤٤"، ١٩٨٣، ص١٣.

(٢) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: د. عمر الدقاق، ط٤، دار الشرق العربي سارع سوريا، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص١٨-١٩.

عدد من معاهد التعليم، كان أشهرها مدرسة الألسن التي أسسها محمد محمد علي في سنة ١٨٣٦م وأصبح مديرها رفاعة الطهطاوي. ثم بدأت فترة ترجمة نشطة في عهدي محمد علي وإسماعيل ١٨٦٣م- ١٨٧٩م، حيث ترجمت مئات الكتب عن اللغات الأجنبية المختلفة، وبفضل مطبعة بولاق[١].

تبلور الوعي القومي في مصر في عهد محمد علي باشا بعد أن حوّلها لأطماعه التوسعية، وأصبحت أكثر نضوجاً فترة الاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢م، وهزيمة أحمد عرابي ومع ثورة ١٩١٩م، ثم بعد أن عاش فترة سكون وتردد يشهد تطوراً ملحوظاً في الثلاثينيات[٢].

ظهرت ثمار هذه النهضة في المجال الأدبي في حدود آخر عقدين من ذلك القرن بفضل رفاعة الطهطاوي حيث كان معلماً ومرشداً لهذا الجيل من المترجمين، واهتمّ محمد علي بالعلم والفن التطبيقي ولكنه لم يهتم بالشعراء، لأنه كان تركياً في ثياب مصرية، فقتل الروح القومية الناشئة، من أجل ذلك لم يتحرّر الشعب المصري بشكل كامل، بل أصبحوا أدوات تستغل لضرائب ورغبات محمد علي باشا[٣].

يتفق المؤرخون والدارسون على أن رفاعة الطهطاوي "١٨٠١م١٨٧٣- م" هو أول شخصية مصرية اهتمت بمفهوم الوطن، بل يعده محمد عمارة "أبو الفكر الوطني"، ويعد أحد ثلاثة مفكرين مصريين اهتموا بهذا المجال، ويشاطره في ذلك علي مبارك، وحسين المرصفي، حسب رأي أنيس صائغ صاحب كتاب

(١) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ت: . عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص٣٤.

(٢) الاتجاه القومي في الرواية، مصطفى عبد الغني، ص١٦.

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ط٥، دار المعارف بمصر، مصر "بدون سنة الطبعة"، ص٣٩.

الفكرة القومية[١].

كانت للثورة العرابية[٢] ١٨٨١م١٨٨٢-م التي هي بداية الوعي السياسي المصري، الفضل في ظهور نهضة شعرية قومية بعد الركود والفتور التي أصابها، فأفرزت البارودي ثم شوقي وحافظ وخليل مطران وغيرهم[٣].

ظهرت في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فكرة البحث عن الذات والهوية، وقد كشفت عن ذاتها في حركة الإصلاح الديني على يد محمد عبده، والإصلاح الاجتماعي على يد قاسم أمين، والهدف كان تحرير الذات على المستويين الديني والاجتماعي ثم انعكست ذاتها في الإطار السياسي في دعوة لطفي السيد: مصر للمصريين، ويمثل أحمد شوقي شاعر هذه الحقبة التي ظهرت فيها أنياب القومية[٤].

يقول ساطع الحصري:" وأخذ الشعور بالعروبة في مصر يغمر نفوس المصريين شيئاً فشيئاً، حتى اشتد خلال الحرب العالمية الثانية، وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية وعند بدء الحركات السياسية والحربية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية. ولكن الإخفاق الذي منيت به هذه الحركات أثر في هذا التيار الفكري تأثيراً سيئاً وعرض فكرة العروبة لنكسة أليمة جداً"[٥].

(١) محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢م: نجاح طلعت عطية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص١٥.

(٢) الثورة العرابية: حركة وطنية ظهرت في عهد الخديوي توفيق، قادها أحمد عرابي "١٨٣٩م-١٩١١م"، نادى بإعادة الحياة النيابية وبإنصاف الضباط الوطنيين المصريين وحقوقهم المشروعة من أيدي ضباط الترك والشراكسة، ثم تطورت إلى حركة عامة (الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر: إلياس بيطار، رسالة ماجستير، الجامعة اليسوعية في بيروت، لبنان، ١٩٧٦م، ص١٩).

(٣) الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر، إلياس بيطار، ص١٧.

(٤) الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ص٤٥.

(٥) مصر العروبة: عباس خضر، مجلة الرسالة، العدد ٨٨٢، الأدب والفن في أسبوع، نشر بتاريخ ٢٩-٥-١٩٥٠م.

حياة الشاعر أحمد شوقي:

ولادته وأصوله:

هو أحمد شوقي بك بن علي بن أحمد شوقي بك، ولد بباب إسماعيل بالقاهرة في أكتوبر سنة ١٨٦٨م، وليس هذا التاريخ مؤكداً إذ أن شهادة الليسانس التي نالها من جامعة باريس أثبت انه ولد في أكتوبر سنة ١٨٧٠م.

قد حدّث عن نفسه في مقدمة الشوقيات حيث قال:" سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب، ويقول:" إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاية من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا فأدخله الوالي في معيته، ثم تداولت الأيام، وتعاقب الولاة الفخام. وهو يتقلد المراتب العالية، ويتقلب في المناصب السامية، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً عاماً للجمارك المصرية"، وكان أحمد هذا عربياً كردياً. إذن جد أحمد شوقي كان من المهاجرين الأكراد إلى مصر حيث تزوج من فتاة شركسية رزق منها بابنه "علي شوقي" ثم مات الأب مخلفاً ثروة كبيرة، وعندما كبر علي شوقي تزوج من فتاة تركية مهاجرة، وكان اسم أبوها "أحمد حليم" وهو من الأناضول بتركيا، والذي كانت زوجته يونانية الأصل. ولهذا فأحمد شوقي من أسرة مصرية تجتمع فيها أصول: عربية وكردية وتركية ويونانية وشركسية[1].

نشأته:

حصل شوقي على ثروة كبيرة من أبيه، ولكنه بدّدها في سكرة شبابه، ويتحدث الشاعر عن ولادته، فيقول حدثني سيد ندماء العصر المرحوم الشيخ علي الليثي فيقول:" لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد، فقصّ عليَّ حلماً

(١) وطنية شوقي، . أحمد محمد الحوفي، ص١٢٧–١٢٨.

رآه في نومه فقلت له وأنا أمازحه: ليولدنّ ذلك ولد يخرق-كما تقول العامة- خرقاً في الإسلام". ثم يقول الشاعر فزرت الشيخ في مرض الموت وكان بيده نسخة من جريدة الأهرام وقال لي: هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقي، فقلت: وما تلك يا مولاي؟ قال قصيدتك التي تقول في مطلعها[1]:

حَفَّ كَأسَها الحَبَبُ فَهيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ
أَو دَوائِرٌ دُرَرٌ مائِجٌ بِها لَبَبُ

هاهي ذي في يدي أقرؤها، فاستعذت بالله. وقلت له:" الحمد لله الذي جعل هذه هي الخرق ولم يضرّ بي الإسلام فتيلا"[2].

أخذته جدته الأم "تمراز" اليونانية وكفلت بتربيته حيث كانت في يسر ونعمة وعلى صلة وطيدة بالقصر عكس أبيه الذي أتلف ما ورثه من أبيه، فكفّلته لوالده، وأصبحت مشغوفة به تقوم على تربيته[3].

يقول أحمد شوقي وهو يتحدث عن نفسه، أن جدته أدخلته يوماً على الخديوي إسماعيل وهو ابن الثالثة، ويقول:" وكان بصري لا ينزل من السماء من اختلاط أعصابه فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه، فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه والعب به، فقال لجدتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي، قال: جيئي به إليَّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر"[4].

(١) مقدمة الشوقيات الصحيحة، ج١ ص٤٣.
(٢) المصدر السابق، ج١ ص٤٣-٤٤.
(٣) شوقي شاعر العصر الحديث، .شوقي ضيف، ص١٠.
(٤) الشوقيات الصحيحة، ج١ص٤٤.

تحصيله الدراسي:

دخل أحمد شوقي في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من عمره سنة ١٨٧٣م ثم في مدرسة "المبتديان" فإلى "التجهيزية"، وكان متفوقاً في دراسته الثانوية، فمنح المجانية مكافأة له، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة، ثم أخذ في تعليمه الطريق المدني، ثم درس سنتين في مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥م بالرغم من صغر سنه غير المؤهل للدراسة، وبعد أن أنشأت الحكومة مدرسة الحقوق قسم للترجمة، دخل فيها سنتين أخريين ثم منح بنظارة المعارف الشهادة النهائية في قسم الترجمة، وكان يتقن اللغة الفرنسية والتركية، وله إلمام باللغة الإسبانية[١].

في فترة الدراسة التي قضاها في مدرسة الحقوق، طالع ما وقعت يده من كتب الأدب والشعر، منها دواوين البحتري وابن الرومي وأبي نواس والمتنبي والمعرّي وبهاء الدين، وطالع أيضاً من شعر "هوغو وموسي"، وقرأ من المؤلفات النثرية لابن خلدون "المقدمة" و"الكامل" للمبرد[٢].

كان الشيخ محمد البسيوني من علماء الأزهر يدرّسه فنون البلاغة، ورأى في شوقي بواكير العبقرية، حتى أنه كان يعرض قصائده على شوقي قبل نشرها في جريدة الوقائع، وكان شوقي يمحو ويضيف ويصحح ويعدل من شعره. وكان الشيخ البسيوني قد تحدث عن النبوغ الباكر لشوقي إلى صاحب العرش، فكانت هذه الشهادة طريق الوصول إلى القصر[٣].

(١) ثقافة التلاقي في أدب شوقي، ص١٠.
(٢) في رحاب شوقي، ص٨.
(٣) شوقي شاعر العصر الحديث، د.شوقي ضيف، ص١٣.

شوقي في القصر:

كان شوقي يمدح الخديوي توفيق وهو طالب، فقد نسج على منوال أستاذه البسيوني في التقرب إلى الخديوي، وأتاح له علي باشا مبارك فرصة لقاء الخديوي توفيق، فقال له الخديوي: "قرأت يا شوقي في الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية، وكنت انتظر ذلك لألحقك بمعيتي، لكن ليس بها الآن محل خال، فهل لك في الانتظار حتى يهيئ الله لك الخير". أخبرني بأنه سيدخل أبي في عمل ما قبلي، وانتظرت بضعة شهور حتى عيّن أبي- وكان مبذراً- مفتشاً في الخاصة الخديوية، ثم عينتُ بعده مترجماً بديوان الخديوي[1].

الرحلة إلى فرنسا:

لم يقض حَوْل على تعينه حتى بعثه الخديوي على نفقته إلى فرنسا سنة ١٨٨٧م، ليدرس القانون والآداب الفرنسية في أربعة أعوام، في مونبيليه عامين دخل مدرسة الحقوق، ثم قضى عطلة في انجلترا بأمر من الخديوي مع الطلبة بعد انتهاء الدراسة في مونبيليه.

في السنة الثالثة في باريس أصيب بمرض شديد جعله بين الحياة والموت، ولما تماثل الشفاء أشار الأطباء بقضاء عطلة في أفريقيا، فاختار الجزائر، ومكث فيها أربعين يوماً، ثم عاد إلى باريس ليستأنف دراسته فيها، وحصل على إجازته النهائية في آخر السنة الثالثة، ثم قضى ستة شهور بعدها، وعاد إلى الوطن عام ١٨٩٣م[2].

كانت رحلة شوقي إلى فرنسا نعمة عليه، فقد أخرجته من سجنه وملأت عينيه بمفاتن الحضارة في فرنسا وانجلترا والتعرف على آدابهما، وانطلقت به إلى

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص١٤.
(٢) وطنية شوقي، الحوفي، ص١٢٩.

مسارح فرنسا، وقد قرأ الصحف والكتب القانونية والأدبية، وقرأ لشعراء كبار أمثال هوغو ولامرتين ودي موسيه وغيرهم، والتقى بالأمير شكيب أرسلان وتمنى له أن يكون له مجموعة شعرية، وإذا ظهرت أن أسمّيها "الشوقيات"، ولكنه لم يستطع أن يخرج عن القيود التي قيد بها نفسه في مصر من مدح للخديوي، بل استمر بإرسال قصائد المدح للخديوي إلى مصر[١].

بعد عودته إلى الوطن - وكان قد توفي الخديوي توفيق-، عيّن في قلم الترجمة بالقصر وعاش في القاهرة في منزل أبيه بالحنفي، ثم انتقل إلى المطرية "كرمة أبن هانيء" ليكون قريباً من القصر[٢].

شوقي في زمن الخديوي عباس الثاني:

توفي الخديوي توفيق سنة ١٨٩١م، فتولى ابنه عباس الثاني زمام الحكم، فلم يهتم بشوقي لاعتقاده أن شوقي شاعر فقط وأنه بحاجة إلى سياسي، إلى أن أقنع أصدقاء الخديوي عباس الثاني "بطرس غالي وبشارة تقلا ومصطفى كامل"، بأن شوقي رجل سياسة أيضاً، وطلب بطرس غالي توظيفه في الخارجية، وتأييداً لذلك وضع في مكانة من الأدب وإمارة الشعر، إلى أن أصبح من المقربين للخديوي وناط به مهاماً كثيرة، وقدّمه على جميع رجاله. ،عاش شوقي من سنة ١٨٩٢م إلى سنة ١٩١٤م حبيس المدائح بالخديوي عباس ولم يتغير وجه شعره، حيث كان بعيداً عن الشعب[٣].

قد تزوج شوقي من خديجة شاهين فحملت معها ثروة كبيرة من أبيها، ورزق بابنة سماها أمينة وصبيين علي وحسين[٤].

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص١٥.

(٢) في رحاب شوقي، ص١٠.

(٣) شعراء الوطنية في مصر "تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم": عبدالرحمن الرافعي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م، ص٤٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط١٢، منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص٩٧٣.

في المنفى:

نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م بين دول الحلفاء ودول المحور، واستنكر الإنجليز وقوف الإمبراطورية العثمانية إلى جانب دول المحور، فخلعوا الخديوي عباس التابع للعثمانيين وكان الخديوي في تركيا، فمنعوه من العودة، وأقامت مكانه حسين كامل، وبدأوا بإتباع الخديوي وفي مقدمتهم أحمد شوقي، فتابعوا حركاته وخطواته، وعوقب شاعر الخديوي بالنفي، فاختار برشلونة مقاماً له، فقضى نحو خمس سنوات فيها.

هذه الأحداث مكنت من شوقي وشاعريته الخروج من المعتقل الذي حبس فيه، القصر وصاحب القصر، فانتقل إلى عالم النور حيث الخروج من قيود القصر، وإن استقبلها بالحزن والألم والفراق وقلة المال، ولكن كان شوقي محتاجاً لهذا الحزن والفراق. فقد أحس بالحياة من طرفيها: الحزن والفرح[١].

قام برحلة زار فيها بلاد الأندلس، حيث اغتنم فرصة إعلان الهدنة في سنة ١٩١٨م، فطاف فيها زائراً آثار العرب، وفي أثناء نفيه كتب أندلسياته معارضاً البحتري والشريف الرضي وموشحات شعراء الأندلس[٢].

الرجوع إلى مصر:

عاد شوقي إلى مصر في أوائل سنة ١٩٢٠م واستقبل استقبالاً حافلاً، وبدأت الدورة الثانية في حياته الأدبية، بعد رجوعه من المنفى "إسبانيا"، فلم يعد يفكر في القصر، فأصبح حراً طليقاً، فخلص لفنه وشعبه، ومؤهلاً ليكون أميراً في الشعر.

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣١–٣٢.

(٢) أعلام الشعر العربي الحديث "أحمد شوقي: محمد مندور": قدم له: إيليا الحاوي، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٦.

عاد إلى مصر في أعقاب الثورة على المحتلين، وشهد استقلال مصر سنة ١٩٢٢م، فيطرب لها، ثم يحزن لإلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، وينخرط بكل جوارحه في هموم شعبه، ومصير أمته. وزاره طاغور شاعر الهند الكبير سنة ١٩٢٦م، واختير عضواً في مجلس الشيوخ.

في سنة ١٩٢٧م، نظم بالقاهرة أسبوعاً للاحتفاء بشوقي، اتخذ صبغة قومية، حيث اشتركت فيه الدول العربية جميعاً بمندوبين، وحضور شعراء كبار بويع فيها أميراً للشعراء. وبين سنة التتويج ووفاته، كانت فترة مراجعة – دون انقطاع – والعودة إلى المسرح الشعري[١].

وفاته:

أصيب شوقي بتصلب في شرايينه لإسرافه في شرب الكحول، واضطر إلى ملازمة الفراش حتى وافاه الأجل، وفي الساعة الثانية صباحاً من يوم ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م، جاء الذي ملأ قلبه رعباً، جاءته المنية، بالتحديد (منتصف الساعة الرابعة صباحاً) في ليلة ١٤ أكتوبر "تشرين الأول" سنة ١٩٣٢م، يقول ابنه حسين شوقي عن آخر أيامه:"إن أباه قد زار الأستاذ توفيق دياب وكان يحبه كثيراً ويرتاح إلى مداعباته، وقد توفي في الساعة الثانية صباحاً، حيث أيقظني الخادم بقوله أن أباه تعبان ويطلبه، فأسرعت إلى حجرته فوجدت أمي بجانبه قلقة تناديه وهو لا يجيب، فعلمت أنه قد فاضت روحه إلى بارئها[٢]، وما انتصفت الساعة الخامسة من اليوم نفسه حتى اكتظّ ميدان التحرير برجال الأدب والصحافة وطلاب العلم، وبهذه النهاية طوت صفحة أمير الشعراء

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر: د.شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢م، ص١١٢–١١٣.

(٢) الأيام الأخيرة في حياة هؤلاء: حنفي المحلاوي، (اقرأ) سلسلة ثقافية شهرية، العدد ٧٦٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م، ص٢٩.

جسدياً، وبقي في قلوب الجميع خالداً وسيظل خالداً عبر الأجيال القادمة. وتوفي الشاعر بالقاهرة مخلفاً وراءه ما يزيد عن ٢٥٥٠٠ بيت شعري[١].

أبعاد القومية المصرية في شعر شوقي:

أولاً: الغربة والحنين في شعره:

الغرباء فئة قليلة من الناس يعيشون بعيداً عن أوطانهم، وهي حالة لا يحسد صاحبها عليه، ولشدّته على النفس جمع الله بين قتل النفس والخروج من الوطن في آية واحدة فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

الحنين إلى الوطن عاطفة إنسانية أصيلة، وكل من عانى الغربة، غربة الأهل والوطن شعر بالحنين والشوق إليهما، قد عرف شوقي الغربة عن مصر مرتين[٢]:

كانت رحلته التعليمية إلى فرنسا بتوجيه من الخديوي توفيق، حيث قضى أربع سنوات فيها، ولم يكشف عن حنينه وشوقه للوطن، وإنْ تاقت نفسه وحنّت إلى الأهل لأن الشاعر كان في مرحلة شبابه وتحت سيطرة الوصاية الخديوية.

فترة المنفى التي قاربت الخمس سنوات، ولكن هذه الغربة جاءت بعد نفي من سلطة الاحتلال، ولهذا نجد في هذه المرحلة الكثير من الأشعار عن الحنين.

(١) ذكرى الشاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء(دراسات– مراثي– مقارنات): جمعها ورتبها: أحمد عبيد، ط١، القسم الثاني، المكتبة العربية في دمشق، بدون تاريخ الطبع، ص٣٠٨و٣٠٩.

(٢) عناصر الحنين إلى الوطن(دراسة مقارنة بين المعري وشوقي): د.ياسر عبدالحسيب رضوان، منتدى الآلوكة، ص٧، WWW.alukah.net.

تعد فترة المنفى بالنسبة لشوقي مهمة جداً من الناحية الثقافية، لأن الشاعر وجد وقتاً للاطلاع على الأدب العربي وتاريخ الأندلس وأدبه، فضلاً عن علاقة متينة مع الشاعر ابن زيدون الأندلسي، وقبل هذه الفترة لم يكن يهمه الشعر الوجداني بل ركّز على شعر المديح وشعرائه متأثراً بالشاعر المتنبي الذي عاش حياته في البلاط وبين الأمراء، كحال شوقي الذي كان يعيش في القصور الملكية، ولكن بعد المنفى تأثر بشعراء كبار كابن زيدون، وأحسّ شوقي بالغربة والحنين وفراق الوطن فجاء الشعر الوجداني ترجماناً لما آل إليه وضعه، فأحسّ بالوطن وشعبه المقهور، وبالتالي جاء شعر الغربة والحنين[1].

كان حنين شوقي يتجه باتجاهين طرديين، اتجاه نحو مصر وطنه وحاضره ومستقبله، واتجاه آخر نحو مصر ماضيه وتاريخه وجذوره ولغته، وتمثل هذا الاتجاه في قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) الذي يعرض تاريخ مصر وأمجادها. وقد اتخذ شوقي عدة وسائل وعلامات لهذا الشوق متمثلاً بالبلبل أو نائح الطلح، وساري البرق، ومعطرة الوادي .

ظهرت وطنية شوقي بشكل بارز في العقدين الأخيرين من عمره أي ما بعد المنفى ورجوعه إلى الوطن، ولعل استدعاءه البواخر ومعرة الوادي وشواطيء الإسكندرية والبلابل والعصافير دليل على ذلك وما يشير إلى مكانتهم من نفسه، وهو يصور حالة قلبه كلما رأى السفن تهمُّ بمغادرة الميناء، وهو يعاتب البحر صاحب الجود والكرم في القديم والحديث، ولكن لم يعد البحر بحراً، ولا السفن سفناً، ووصفهما بالبخل، لأنهما منعا الشاعر من العودة إلى الوطن.

(١) أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، مجلة العرب، عدد ١٢، ايلول عام ١٩٧٠م، ، ص١٠٦٣.

يشبه الشاعر نفسه بأم موسى، عندما كان موسى عليه السلام طفلاً يخشى عليه من بطش فرعون، فألقي في اليم بأمر من الله ورعايته ثم أعاده الله لها، حتى إذا انتهت الفتنة عاد سالماً إلى أمه، وبيّن أن فؤاده أفرغ من فؤاد أم موسى[1]:

بنّا فَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا مِن بَرِّ مِصرَ وَرَيحانٍ يُغادينا
كَأُمِّ موسى عَلى اِسمِ اللهِ تَكفُلُنا وَبِاسمِهِ ذَهَبَت في اليَمِّ تُلقينا

في حنينه لمصر، يقول[2]:

صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جِبسِ

اقترن النيل في الأدب الحديث بالوطنية المصرية، فالنيل في الشعر العربي الحديث يغضب ويثور ويريد ويرعد ويعد، كل هذا جاء على لسان الشعراء ومنهم شوقي، وعندما يغضب النيل فالمقصود به أن مصر غاضبة وثائرة وواعدة[3].

قد انفعل شوقي لنهر النيل حينما قال[4]:

وَكَأَنّي أَرى الجَزيرَةَ أَيكاً نَغَمَت طَيرُهُ بِأَرخَمَ جَرسِ
هِيَ بَلقيسُ في الخَمائِلِ صَرحٌ مِن عُبابٍ وَصاحَت غَيرُ نِكسِ
حَسبُها أَن تَكونَ لِلنيلِ عِرساً قَبلَها لَم يُجَنَّ يَوماً بِعِرسِ

نهر النيل يعتمد عليه المصريون في الشرب والاستخدامات المنزلية، وهو مصدر للرزق في صيد الأسماك، ويجعله الشاعر ساعي البريد، ويناشده عن أخبار الأحبة وشمائلهم، وكل ما في النفس من حنين واشتياق، وهنا الشاعر

(١) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص١٠٤.
(٢) المصدر السابق، ج٢ص٤٤.
(٣) النيل في الأدب المصري: د.نعمات أحمد فؤاد، دار المعارف بالقاهرة، مصر، ١٩٦٢م، ، ص٣١١.
(٤) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص٤٦.

يبدو تأثره بالمدرسة الرومانسية واضحاً فيقول[1]:

اللهَ يا نَسَماتِ النيلِ في السَحَرِ هَل عِندَكُنَّ عَنِ الأَحبابِ مِن خَبَرِ
عَرَفتُكُنَّ بِعَرفٍ لا أُكَيِّفُهُ لا في الغَوالي وَلا في النَورِ وَالزَهَرِ
مِن بَعضِ ما مَسَحَ الحُسنُ الوُجوهَ بِهِ بَينَ الجَبينِ وَبَينَ الفَرقِ وَالشَعَرِ
فَهَل عَلِقتُنَّ أَثناءَ السُرى أَرَجاً مِنَ الغَدائِرِ أَو طيباً مِنَ الطُرَرِ
هِجتُنَّ لي لَوعَةً في القَلبِ كامِنَةً وَالجُرحُ إِن تَعتَرِضهُ نَسمَةٌ يَثُرِ

لهذا فالشاعر يأخذه منظر البواخر وصفيرها، ويجعل من قلبه راهباً قوي الإحساس بها، يقول شوقي[2]:

مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ
راهِبٌ في الضُلوعِ لِلسُفنِ فَطنُ كُلَّما ثُرنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ
يا اِبنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ

إنه" قلب شوقي الحنان الذي يزداد في البعد وفاءً وفي الغربة ذكرى وحنيناً، وهو بعد مستطار لاهف كلما هدرت البواخر، وتعالى ضجيجها وعجيجها، أما مصر موطن الروح ومستودع الهوى فيطير شعاعاً ويتفجر حقداً وغضباً على قسوة الذين قضوا بإبعاده عن وطنه وحبسوا عنه خيارته ومنعوه الاستمتاع بأجوائه والعيش في ظلاله"[3].

الشاعر يشكر السفينة التي أقلته إلى مصر بعد عودته من المنفى، ويخاطب تلك البلاد ويمدحها، ويذكر أعاديه الذين كادوا له، وظاهروا على

(١) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص١٢٢.
(٢) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص٤٥.
(٣) أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، ص١٠٦٣.

إخراجه من وطنه ونفيه[1]، فيقول[2]:

شَكَرتُ الفُلكَ يَومَ حَوَيتِ رَحلي فَيا لِمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابا
فَأَنتِ أَرَحتني مِن كُلِّ أَنفٍ كَأَنفِ المَيتِ في النَزعِ انتِصابا
وَمَنظَرِ كُلِّ خَوّانٍ يَراني بِوَجهٍ كَالبَغِيِّ رَمى النِقابا
وَلَيسَ بِعامِرٍ بُنيانُ قَومٍ إِذا أَخلاقُهُم كانَت خَرابا

يختم شوقي قصيدة النيل بأبيات انتظرها الناس وهو حب الوطن، فهو المستقر الأمين للجميع[3]:

مِمّا يُحَمِّلُنا الهَوى لَكَ أَفرُخٌ سَنَطيرُ عَنها وَهيَ عِندَكَ تُرزَقُ
تَهفو إِلَيهِم في التُرابِ قُلوبُنا وَتَكادُ فيهِ بِغَيرِ عِرقٍ تَخفُقُ
تُرجى لَهُم وَاللَهُ جَلَّ جَلالُهُ مِنّا وَمِنكَ بِهِم أَبَرُّ وَأَرفَقُ

لولا إحساس شوقي الوطني لما برع في الأوصاف لفظاً ومعنىً، ولم يكن إحساس فرد يشعر بعظمة أمة ذات ملايين وهو فاقد الإحساس بها، (بل كان شعوره بعظمة بلده قد أوحى إليه أنه موكل بأن يملأ بالإشادة بتلك العظمة أذن الزمان وسمع الدهر، ليمشي مزدهياً به في كل مكان، تلك مرتبة في الشعور الوطني والاعتزاز بأمجاد بلده، قلما ترقى إليها إلا مشاعر زعماء الوطنية الذين تدفعهم عظمة بلدهم إلى أن يندفعوا في الارتقاء بهذا الوطن والدفاع عن حياضه والفناء من أجله إن دعا داعي الوطن)[4].

وطنية شوقي أدّت إلى نفيه، حيث خاف المحتل من شعره في التأليب عليهم، وتنفير الشعب منهم، فأميره مبعد عن ملكه، وشعب مقيد الحرية

(١) المتنبي وشوقي، عباس حسن، ط١ص٣٣٥.
(٢) الشوقيات الصحيحة، ج١ص٦٧.
(٣) الشوقيات الصحيحة، ج١ص٧٣.
(٤) أحمد شوقي الشاعر الإنسان، أحمد عبدالحميد، ص٩٨.

مغتصب الحقوق، وفي الغربة لا ينس شوقي وطنه يحن إليه وإلى النيل، فيقول نونيته المشهورة[1]:

يا نائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا
ماذا تَقُصُّ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا
رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا
كُلٌّ رَمَتهُ النَوى ريشَ الفِراقُ لَنا سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سكّينا
إِذا دَعا الشَوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ مِنَ الجَناحَينِ عَيٍّ لا يُلَبّينا
فَإِن يَكُ الجِنسُ يا اِبنَ الطَلحِ فَرَّقَنا إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابينا

فهذه إحدى مناجاته ينعي فيها الظلم الذي يتعرض له المرء بأبعاده عن وطنه، وامتزاجه وجدانياً بالطائر النائح، هذا الطائر الذي يحن إلى وطنه وإلى عشّه، ويمرض الطائر بمرض الفراق، فينتقل من غصن إلى غصن في تثاقل وحزن، كذلك فإن شوقي أبعد عن وطنه، فهو يحن إليها يجر ساقيه ألماً بين مواقع الأندلس، بل الغريب يجد علاجاً لمرضه الجسماني، ولكن لا يجد العلاج النفسي الذي يشفى به نفسه، إذ يشعر بالوحشة والحنين بالرغم من جمال الأندلس.

الشعر أول وسيلة يلجأ إليها العربي للتعبير عن مشاعره فرحاً أو حزناً، والوطنية تظهر مشاعر الشوق والحنين للوطن، ومهما سكن الإنسان القصور، فذلك لن ينسيه وطنه، فهذا شاعرنا قد قال كثيراًفي حنين مصر.

ثانياً: الإحساس بمعاناة الشعب والوقوف إلى جانبهم:

الناس دائماً يبحثون في النص الأدبي عما يلامس محنهم ويشارك في ألمهم، حيث أن النفس تطرب لمن يقول الحق دون خوف ويبوح بآلامها

(١) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص١٠٣.

والإحساس بمعاناتها، فينظر الشاعر إلى هذه المحن في ظل الاحتلال، فهناك شعب عاجز عن الحركة تحت وطأة الاستعمار، شعب مبتلى بالعبودية والتبعية، مفتقر إلى العلم الذي به تحيا الأمم.

يتضمن دور الشاعر في تنبيه الشعب إلى واقعه المر لإيقاظه من غفلته واستنهاض همه، ولابد للشاعر أن يمتلك موقفاً ايجابياً تجاه ما يعاصره من آلام وظلم واحتلال، وهذا الموقف يظهر في شعره عبر صيغ متعدّدة كالرفض والتحريض واستنهاض الهمم وإظهار العيوب.

بل يوجه الشاعر خطاباً قاسياً للشعوب العربية وذاكراً لهم حقيقة الاحتلال ووعوده الكاذبة، وأن الحقوق تؤخذ ولا تعطى، ويكشف صورة المستعمر أمام أتباعه من أبناء الوطن بأنهم بائعوا الشعوب وإن دعوا في دساتيرهم الحرية للجميع.

يرى إن المحتل من يسّير أمور البلاد، وما حكامنا إلا أدوات في أيديهم، وأن الشعب المقاوم يهلك بأيديهم ويجوع أن استسلم لهم، والشاعر له وعي بنتائج الرضوخ والعبودية، ولهذا يسهم عن طريق شعره الوطني في تأييد خط الجماهير الذي يواجه المستعمر.

أخذ شوقي يهتم بنهضة مصر العلمية وما تحتويه من معاني الرّقي والاستقلال والاكتفاء الذاتي، فألقى قصائد متنوعة دعا المصريين إلى النهضة والعمل والمساعدة في إصلاح ما تعرضت له مصر من فساد وتخلف في كافة المجالات، ولم ينس دور المرأة المصرية في هذه النهضة، بل طلب منها المشاركة مع الرجل، إذ يحق لها التعليم لأنها مربية الأجيال ومنشئة المواطنين الصالحين.

يقف الشاعر مع شعبه في محنته تحت ظل الاستعمار والوصاية، وهو يقود الجماهير للوصول إلى الأهداف المشروعة، ويعبر عن موقفه الرافض لكل سلطة جائرة، ومصاحبة الطغاة تحت وصاية أجنبية، فهو يرى أن الدولة وضعت لخدمة المحتل وأعوانه، بينما تركت الشعب يعاني من مرارة العيش والاستعباد، ولا تمتلك الدولة حريتها إلا إذا امتلكت أسباب القوة للحفاظ على هيبتها وسيادتها. ولهذا ارتبط شوقي بالقضايا الوطنية، فيدعوها إلى الحرية والعدالة، ويسعى إلى القضاء على جذور الاستعمار وآثاره، فلا يترك طبقة إلا يناديها في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة.

يمكن القول أن الشاعر يطرح أما الجماهير سبيل الخلاص من الوضع السيء الذي تعيشه البلاد، وإلى إيمانه العميق بالعلم هادياً للأمم على طريق النهوض والتقدم والاستغناء عن المحتل والاستقلال الاقتصادي.

من أسباب بقاء الأمة أن تظل قائمة حتى تسترد أرضها، ويدعو الشعب إلى المواجهة ومواصلة الصمود والصبر على الظروف القاسية كي يعود الأمل مرة أخرى.

يتضح من شعره أنه يركّز على توعية الشعب من خلال غرس روح الثورة فيه عن طريق طرح معاناته أمام عينيه وتنبيهه إلى واقعه المر، وأن الشعب يملك القدرة على تغيير هذا الواقع الأليم.

كان افتخار العرب بماضيهم قبل الحرب العالمية الأولى ديدن الشعراء، ولكن الانتصارات التي حققوها أثناء الحرب بمساعدة الحلفاء جعلت من مادة الفخر تربط الماضي بالحاضر، تربط منجزاتهم الماضية بالحاضر المشرق. فدعا الشعراء إلى بعث القومية في المشرق العربي وكذلك في مصر، واتجهت أنظار

العرب إلى الشريف حسين بن علي ملك الحجاز أملاً في أن يحافظ على الخلافة ويكلأ القومية العربية، وأن العرب كانوا يبحثون عن زعيم يجمع العرب تحت راية واحدة، وبدت القومية العربية تضم كل الشعوب العربية،

رابعاً: الإشادة بالرّموز الوطنية:

ما من أمة تخلو من بطل وطني أو قومي، يتجسد شخصيته أثناء الحروب وأيام السلم، ويتخذ صيغاً مختلفاً، والبطل القومي عند كل شعب فيها صفات أبطاله القوميين، ولكن يحاول أن يجعل الشعوب لها صفات محلية متمثلة في كل مواطن، والغرض من كل ذلك هو إثارة النخوة عند الشعب في مواجهة التحديات.

ظلت البطولة العربية والكوردية تبرز في معارك العرب والكورد مع المحتلين على مدار التاريخ، وفي العصر الحديث بدأت باحتلال فرنسا مصر بقيادة نابليون، فأخذت جذوة الشعور العربي تبدأ من جديد، واضطرت فرنسا إلى مغادرة مصر. وكذلك بدأ هذا التوجه عند الكورد بعد الاحتلال والاتفاقيات الظالمة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وفي هذه الأثناء برزت البطولة العربية والكوردية، وسعّر نار الكفاح أبطال كتبت مآثرهم من ذهب[1].

مصطفى كامل[2] ١٨٧٣م ١٩٠٨ ـ م:

من جوانب وقوفه مع شعبه الإشادة بقادته، فالشعب المصري الذي أحبّ مصطفى كامل "١٨٧٣م١٩٠٨- م"، جعل من شوقي أيضاً أن يحبّه، بل يعد شوقي من أصدق أصدقاء مصطفى كامل وأكثرهم أعجاباً به، إذ أنه يعد من

(١) البطولة في الشعر العربي، ص١٠٩و١١٠.

(٢) مصطفى كامل: مناضل ولد في القاهرة سنة ١٨٧٣م، حيث كان همّه أن يوقظ الوعي القومي عند المصريين، ويطلع العالم الأوربي على ظلم الاستعمار، وكانت وسائله الأعلام، أسس الحزب الوطني سنة ١٩٠٧م، توفي في سنة ١٩٠٨م.(الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص٢٠٠).

أصدقاء الطفولة، فشارك شوقي مصطفى في جهاده وفي رثاءه.

فيقول في وطنيته، إذ يخاطبه في قصيدة "شهيد الحق"، وهي قصيدة **ملهبة للعاطفة الوطنية**[1]:

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلّمهم وناما؟
مِهارُ الحق بغّضنا إليهم شكيم القيصرية واللجاما
لواؤك كان يسقيهم بجام وكان الشعرُ بين يديّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقًاً فضَضْنا عن معتَّقها الختاما
غرسنا كرْمها فزكا أصولاً بكل قرارةٍ وزكا مُداما

يقول أيضاً[2]:

بك الوطنية اعتدلتْ وكانت حديثاً من خرافةٍ أو مناما
بُنيتْ قضية الأوطان منها وصيرتَ الجلاء لها دعاما

كان شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الوطن، فلما وافاه الأجل تأثر تأثراً عميقاً لرحيله فقال[3]:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتمٍ والداني

يقول في رثائه[4]:

قد كنْتَ تهْتف في الورى بقصائدى وتُجِلُّ فوق النيّراتِ مكاني
مـــاذا دهانـــي يوم بِنْتَ فعقَّنى فيكَ القريضُ وخانَنى إمكاني

قال شوقي في ذكرى مصطفى كامل الذي أظهر الغيرة على الوطن

(١) الشوقيات الصحيحة، ج١ص٢٦٤و٢٦٥.
(٢) الشوقيات الصحيحة، ج١ص٢٦٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٣ص١٦٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٣ص١٧٠.

والعجب من احتلال أرضه[1]:

لم يمت من له أثر وحياة من السِير
أدعه غائبا وأن بعدت غابة السفر
آبب الفضل كلما آبت الشمس والقمر
رب نور متمتم قد أثانا من الحفر
إنما الميت من مشى ميت الخير والخير
من إذا عاش لم يفد وإذا مات لم يضر

فالفقيد له سيرة حافلة بالأمجاد، وأن الميت هو من يرحل ولا أثر له في الحياة والفرق شاسع بينهما، لأن صاحب الأمجاد يبقى خالداً في قلوب الناس.

يعده شوقي شهيد الوطن، وإنّ مصر بعد استشهاده سترتدي مجداً يتعالى على جميع البلدان، فيقول[2]:

يا صَبَّ مصرَ ويا شهيد غرامها هذا ثَرَى مصر فنُم بأمان
أخلع على مصر شبابك عالياً والْبسْ شباب الحور والولدان

سعد زغلول[3] "١٩١٩م ـ ١٩٢٧م":

عرض سعد زغلول قضية مصر على الحكومة البريطانية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، فرفضت الخارجية البريطانية هذا العرض، وبعد مناوشات سياسية نفي زغلول إلى مالطة، وحدثت اضطرابات وثورات ومقاطعة للإنجليز

(١) الشوقيات الصحيحة، ج٣ص٩٩.
(٢) المصدر السابق، ج٣ص١٧٠.
(٣) سعد زغلول: ولد في إبيانة وتخرج في الأزهر، واشترك في الثورة العرابيّة وسجن شهوراً ثم أصبح قاضياً فمستشاراً، ثم تولى وزارة المعارف، ومن ثم تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩١٩م، توفي في سنة ١٩٢٧م، وهو رائد الكفاح الوطني الذي شارك في ثورة شعبية ضد الاحتلال مع كافة طبقات المجتمع. (الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص٢٠٠).

قادتها جماهير الشعب من كافة فئاته، ولم تخمد إلا بإعلان الاستقلال، ورجع زغلول إلى مصر، وأخذت مصر كامل صلاحياتها عام ١٩٣٦م، ورافق شوقي هذه الأحداث وانشد فيها.

كانت صلة شوقي بسعد زغلول وثيقة، ثم شابها نوع من الجفوة، ومن ثم التقى الرجلان في سويسرا بمساع من الشيخ الجديلي، وكان اللقاء مؤثراً حيث تبادلا بينهما ذكريات الماضية والعزيزة عليهما، والمعلوم أن كل من سعد وشوقي كانا معجبان بعضهما بعضاً[١].

أشاد شوقي بكفاح سعد زغلول في قصيدة "سعد باشا زغلول"، فقال في رثائه[٢]:

تسكبُ الدمعُ على "سعد" دماً أمةً من صخرة الحق بناها
مَن لبانٍ هو في ينبوعها وإباء هو في صُمّ صفاها
لُقّنَ الحق عليه كهاباً واستقى الإيمان بالحق فتاها
بذلْتَ مالاً وأمناً ودِما وعلى قائدها ألقت رجاها
حمّلته ذمة أوفى بها وابتلته بحقوق فقضاها

رفع زغلول شعار "مصر للمصريين"، ويرى المصريون أن سعد زغلول سبب النكسة لذا هجاه شوقي بقصيدة شهيرة.

يجسّد للشعب فاجعته بفقدانها زعيم الأمة وقائدها إلى الاستقلال والحرية، صوت فقدوه في المنابر النضالية ضد المستعمر[٣]:

شيّعوا الشمس ومالوا بضُحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها

(١) أبو شوقي: الأستاذ: حسين شوقي، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٧م، ص١٢٣.
(٢) الشوقيات الصحيحة، ج٣ص١٨٨.
(٣) المصدر السابق، ج٣ص١٨٥.

أحمد عرابي "١٨٨١م/١٨٨٣م":

الثورة العرابية كانت انفجارا للوعي الوطني، ومن ثمراته الأحياء الكلاسيكي في الشعر، حيث قام بهذا الإحياء البارودي، وشاركه بعدها أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران.

تعدّ ثورة عرابي أول ثورة تخرّج من العنصر العسكري، وكانت تستمد الفكرة القومية قواها منالإسلام في هذه الفترة.

عاد عرابي من منفاه "سريلانكا" إلى مصر عام ١٩٠٣م، فكثر القول فيه بين مادح وقادح، وكان شوقي ممن حمل على عرابي حملات قاسية، حيث كان شاعر القصر، والثورة العرابية كان خروجاً على سلطان القصر، وقد هاجم عرابي في قصائد ثلاثة، نشرت القصيدة الأولى في "المجلة المصرية" التي كان يترأسها خليل مطران بعنوان "عاد لها عرابي"، والقصيدة الثانية بعنوان "عرابي وماجني" نشرها في "اللواء"، والقصيدة الثالثة بعنوان "صوت العظام أو عرابي أمام قتلى التل الكبير" وهي معركة خسر فيها أمام الإنجليز عام ١٨٨٢م، نشرها في "اللواء" أيضاً، بل تكرر هجومه على عرابي في ثنايا بعض قصائده أيضاً[١].

رغم كل هذا الهجوم، ألا ان شوقي قد غير رأيه فيما بعد، فأشاد بالثورة العرابية وقوتها، بثورة ١٩١٩م في مجال الإشادة بالدستور، وأكد هذا الدستور صرحاً بناه الآباء في الثورة العرابية[٢]:

بنيان آبائهم مشوا بسلاحهم وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائط ومن المشانق والسجون جدار

(١) وطنية شوقي، الحوفي، ص٢٧٥و٢٧٦.
(٢) الشوقيات الصحيحة، ج٢ص١٦٤.

حمد فريد[1]:

يرثي شوقي الشهيد الوطني محمد فريد الذي أفنى حياته وماله ودنياه في سبيل استقلال الوطن سنة ١٩٢٤م، إذ يقول في شهيد الغربة[2]:

فـريدُ، ضحـايـانـا كثيرُ؛ وإنما مجال الضحايا انت فيه فريدُ
فما خلْف ما كابدْتَ في الخلق غايةٌ ولا فوق ما قاسيتَ فيه مزيدُ
تغرّبت عشرا؛ أنت فـيهن بائسٌ وأنت بآفاق البلاد شريدُ

يقول[3]:

ألا فـي سبيل الله والحقِّ طـارف من المال، لم تبخلْ به، وتليدُ
وجودك بعد المال بالنفس صابراً إذا جزع المحضور، وهو يجودُ

يشيد بالمرحوم أمين الرافعي في رثائه[4]:

قـد فقدنـا بـه بقـية رهطٍ أيقظوا النيل وادياً ونـزيلا
حركوه وكـان بالأمس كالكهفِ حُزونا وكـالرقيم سُهولا
يـا أمي الحقوق أدّيتَ حتى لم تَخُن مصر في الحقوق فتيلا

يقول[5]:

تنشد الناس في (القضية) لحناً كـالـحوارى رتّل الأنجيلا
ماضياً فـي الجهاد لـم تتأخّر تزِن الصفّ أو تقيم الرّعيلا

(١) محمد فريد: ولد بمدينة القاهرة يوم الاثنين ٢٠ كانون الثاني عام ١٨٦٨م، دخل المدارس الحكومية واستمر في مواصلة تعليمه حتى حصل على شهادة الحقوق عام ١٨٨٧م، ناضل ضد الإنجليز، وكانت اتجاهاته الفكرية تدور حول محور الوطنية والإسلامية، تولى زعامة الحزب الوطني بعد وفاة الزعيم مصطفى كامل عام ١٩٠٨م، توفي يوم السبت ١٥ تشرين الثاني عام ١٩١٩م. (محمد فريد بك المحامي ودوره في الحركة الوطنية المصرية: نصير خير الله التكريتي، مجلة التربية والعلم، العدد ١، المجلد١٦، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٠٩م، ص٥٧و٥٩و٦٥).

(٢) الشوقيات الصحيحة، ج٤ص٦٣.

(٣) الشوقيات الصحيحة، ج٤ص٦٣٣.

(٤) الشوقيات الصحيحة، ج٣ص١٤٧.

(٥) المصدر السابق، ج٣ص١٤٧.

يمكن القول، أن شوقي أنشد في الثورة ورجالاتها بما يناسب الحدث، فأنشد في مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد فريد وعمر المختار وغيرهم، ولابد من مراعاة البيئة التي عاش فيها معظم حياته وقربه من البلاط، بعيداً عن الشعب حتى منفاه.

خاتمـــــة

الحمد لله بدأً وختماً والصلاة والسلام على النبي المجتبى المصطفى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، أما بعد ..

فإنّ من دعائم القومية المصرية في شعر شوقي غرس حب الوطن في نفوس أهل قطره، وبعث روح الوطن في أبنائه وإثارة الغيرة القومية فيهم، والإشادة بماضيهم المجيد، وتخليد قادة ورجال الوطن الذين قدموا تضحيات كثيرة للبلد في مواجهة الاستعمار والتصدي لهم، ودحض خططهم وكشف نواياهم السيئة، وقد استغلّ شوقي الكثير من المناسبات التي مرت به وبشعبه لإيقاظ الشعور القومي وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. برع شوقي في تصوير الواقع في مصر ومعاناة الشعب وسخر شعره الرصين لبعث القومية المصرية في وجدان أهله .
٢. عاصر شوقي أحداث وطنية كثيرة تأثر بها وأثرت عليه مما انعكس جلياً في ثنايا شعره القومي.
٣. في شعره تصدٍ للاستعمار الذي تكالب على الدول العربية عموماً وعلى مصر على وجه الخصوص وكان لشوقي سهم ربيح في كنانة الذود عن حياض الوطن.
٤. صور بشعره أحداث معاناة الشعب المصري وفي هذا تأكيد واضحٌ لدور الشاعر القومي الذي يحمل بين جنبيه فؤاد رجل عظيم يهتم بجلائل الأعمال .
٥. بعد شوقي عن وطنه في منفاه زاد من تعلقه واشتياقه لمسقط رأسه ودار خلانه فربة الشعر جاءته طائعة مختارة في تيه ألمدل وإدلال الفاتنات ليعبر

بلغة رصينة ومشاعر جياشة عن حبه لوطنه ومن بعد ذلك يكون قد رسخ قيمة عليا للشعر لا يشآها إلا كل خبير طب حاذق للغة.

٦. إن شعر شوقي القومي فيه صدق العاطفة وجمال التصوير وحسن السبك.

توصي الدراسة بالبحث الدقيق عن دور الشعر في بعث الشعور القومي تجاه الأوطان للتأكد الحقيقة الراسخة للعلاقة المتينة الموثقة بين أي شاعر والمجتمع الذي يعيش فيه.

المصادر والمراجع

١. أبو شوقي: الأستاذ: حسين شوقي، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٧م.
٢. الاتجاه القومي في الرواية: د. مصطفى عبد الغني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب"١٨٨"، الكويت،١٩٩٤م.
٣. الاتجاه القومي في الرواية، مصطفى عبد الغني.
٤. لاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: د. عمر الدقاق، ط٤، دار الشرق العربي سارع سوريا، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
٥. الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ت: . عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
٦. الأدب العربي المعاصر في مصر: د. شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢م.
٧. أعلام الشعر العربي الحديث "أحمد شوقي: محمد مندور": قدم له: إيليا الحاوي، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
٨. أندلسيات شوقي وحنينه: حسن عبدالله القرشي، مجلة العرب، عدد ١٢، ايلول عام ١٩٧٠م.
٩. تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط١٢، منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١٠. التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧م: . ماجد أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة- توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات"٣٤٤"، ١٩٨٣م.
١١. الثورات الوطنية في مصر وأثرها في تطور الشعر المعاصر، إلياس بيطار.
١٢. ذكرى الشاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء(دراسات- مراثي- مقارنات): جمعها ورتبها: أحمد عبيد، ط١، القسم الثاني، المكتبة العربية في دمشق، بدون تاريخ الطبع ، ص٣٠٨ و٣٠٩.
١٣. السلام وأزمة الهوية في مصر: فاروق يوسف أحمد، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٤. الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.
١٥. شعراء الوطنية في مصر "تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم": عبد الرحمن الرافعي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.
١٦. عناصر الحنين إلى الوطن(دراسة مقارنة بين المعري وشوقي)، . ياسر عبد الحسيب رضوان،
١٧. الفكر السياسي للحصري: د. أحمد الرجي، ط١، م. الأهالي، دمشق، سوريا، ١٩٩٧م.

١٨. لسان العرب لابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي، مادة القوم، دار المعارف، القاهرة، مصر "بدون سنة الطبعة".

١٩. ماهية القومية: ساطع الحصري، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.

٢٠. محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢م: نجاح طلعت عطية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٢١. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

مصر العروبة: عباس خضر، مجلة الرسالة، العدد ٨٨٢، الأدب والفن في أسبوع، نشر بتاريخ ٢٩-٥-١٩٥٠م.

٢٢. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان ببيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٢٣. معنى القومية العربية: د. جورج حنا، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٥٧م.

٢٤. النيل في الأدب المصري، نعمات أحمد فؤاد، دار المعارف بالقاهرة، مصر، ١٩٦٢م.